قصيدة النثر

تعريف قصيدة النثر :

هي نثر موسيقي خيالي رامز، يختلف النقاد في منحه لقب (الشعر) أو منح نصه لقب (القصيدة)"،كما يعرفها الناقد المغربي "رشيد يحياوي" على أنها "مصطلح مكون من كلمتين (قصيدة/نثر) المرتبطتين بالاضافة، وقد ظهر المصطلح في بداية الستينيات ترجمة لمقابله الفرنسيPOEME EN PROSE،"

أما التعريف الأكثر وضوحا لمفهوم قصيدة النثر فهو مفهوم الناقد "أحمد بزون" الذي يسوق إلينا تعريف الشاعر والناقد "علي أحمد سعيد"في قوله':

إنها شعر لا نثر جميل، إنها قصيدة مكتملة كائن حي مستقل مادتها النثر، وغايتها الشعر، والنثر فيها مادة تكوينية، ألحق بها النثر لتبيان منشئها وسميت قصيدة للقول بأن النثر أيضا يمكن أن يكون شعرا من حاجته إلى الوزن.

كما يمكن تعريف قصيدة النثر بكونها: شعر فيه من الايقاع أكثر مما في النثر العادي لكنه مع ذلك لا يقوم على تمط وزني منتظم ويخلو من القافية عادة.

ويقول أدونيس إنها كائن متحرك مفاجئ وهي تركيب جدلي رحب وحوار لانهائي بين هدم الأشكال وبنائها وهي أيضا نوع متميز قائم بذاته إذ لها تنظيمها الخاص.

ويرى عز الدين المناصرة أن قصيدة النثر ظهرت سنة 1954 بصدور مجموعة ثلاثون قصيدة ليوسف الصايغ الشاعر الفلسطيني من أصل سوري وهي الثورة الثالثة التي جاءت مازية لحركة شعر التفعيلة ولم تكن تطويرا له.

إشكالية المصطلح:

أحصى الباحث عز الدين المناصرة خمسة وعشرين مصطلحا لهذا النمط الشعري نذكر منها (الشعر المنثور ، والنثر الشعري، وكتابة حرة وقصيدة حرة والكتابة الخنثى القول الشعري النثيرة والكتابة خارج الوزن والنص المفتوح والخاطرة الشعرية والنثر المركز قصيدة النثر)

ورغم الخلل البين في البحث عن مصطلح قار وحتى في المصطلح الشائع قصيدة النثر لما ينطوي عليه من الجمع بين متناقضين (قصيدة النثر) هما نمطان مختلفان إلا ان هذه التسمية ترسخت أكثر من غيرها

جذور قصيدة النثر:

تعود جذور قصيدة النثر في التراث الشعري العربي إلى الشعر المنثور، وهو أسلوب النثر الاسلامي المقفى كأداة وسط بين الشعر والنثر استخدمه أمين الريحاني للتعبير عن أفكاره الفلسفية.

ويعد أمين الريحاني أل من أشار إلى الشعر المنثور في كتابه هتاف الأودية الصادر سنة 1910 وهو الشعر الخالي من الوزن القافية والذي يعتمد الصور ورقة الألفاظ وجرسها وتصوير العواطف، فكان أول من كتب الشعر المنثور متأثرا بالشاعر والت ويتمان، وقد عرفه بأنه: آخر ما توصل إليه الارتقاء الشعري عند الإفرنج وبالأخص الأمريكيين والإنجليز من أمثال ملتون وشكبير.

تعريف الشعر المنثور: هو أسلوب ثالث بين الشعر الموزون والمقال النثري، ويرى مارون عبود أن الشعر المنثور بناء بلا زوايا فيه جمال مطلق، ويعرفه المقدسي بكونه ينزع إلى النظم الحر من قيود الأبحر العروضية المعروفة .

ويتعرض موافي للاختلافات الفارقة بين الشعر المنثور وقصيدة النثر فيقرر: أن الأول هو الجذر التاريخي للثانية، بيد أن أهم اختلاف بينهما يتمثل في غياب المفاهيم التي تتأسس عليها القصيدة عند أصحاب الشعر المنثور وحضورها لدى قصيدة النثر ويؤكدان معا على الدور الثانوي للعروض.

وفي سياق المقارنة بين النثر الشعري وقصيدة الشعر النثور تلاحظ الجيوسي أن مصطلحات النثر الشعري وقصيدة النثر تستعمل استعمالا عشوائيا لدى النقاد وتفصل الباحثة بين المصطلحين الأولين بقولها:

النثر الشعري كتابة نثرية تستخدم الأسلوب الشعري مع صور شعرية وشيء من العاطفة العالية وهذه العاطفية يمكن أن توصف بأنها شعرية ولكنها تبلغ التوتر العاطفي الذي يميز الشعر أما أسلوب النثر الشعري فيشبه أسلوب المقالة المعتادة من حيث نظام الفقرات وإمكان ورود الجمل الطويلة

ويعد جبران رائد هذه الكتابة من خلال مؤلفه دمعة وابتسامة سنة 1914 كونه وضع الشعر العربي على عتبة الحداثة الشعرية جنبا إلى جنب مع الشعر العالمي وفي تطويعه لترجمة مخبوءات النفس الشاعرة، فأظهر بذلك مرونة كبيرة في صياغة قوالبه، لم يكن شعرنا يحلم بالصول إليها سابقا، إذ قام بتطعيم الأجناس الأدبية بعضها ببعض، ويفتح القصيدة على الحكاية والحكاية على القصيدة ويتجاوز تقليد النوع والجنس الكلاسيكي.

كما يمكننا أن نشير إلى كتابات مي زيادة في كتابتها كلمات وإشارات 1922 وكتابها ظلمات وأشعة 1923

خصائص الشعر المنثور:

ترى سلمى الجيوسي أن الشعر المنثور أكثر انتقائية في موضوعه الذي يبقى أكثر شاعرية ومن خصائصه عدم الاسترسال في الشرح فهو يتجه نحو الشكل الشعري بأسطره القصيرة المقفاةأحيانا وتقسيمه القصيدة إلى مقاطع إنه يخلو من الوزن ولكنه يستعمل القافية

ما يعوض الايقاع في الشعر المنثور هو (تكرار المفردات والعبارات، المتوازنات المركبة المتضادة أو المترادفة، أسماء المناداة، عبارات اللازمة المتكررة، تواتر الصوامت والصوائت)

أما خصائص الشعر المنثور عند الريحاني كما حددتها الباحثة هي كما يلي

وحدة الموضوع

تقسيم القطعة إلى مقاطع تقصر أو تطول

استخدام الجمل القصيرة والعبارات المتكررة وصيغ النداء والصور الشعرية والاستعارات المستقاة من الطبيعة.

يتميز الشعر المنثور بما يلي

لا يخضع لقوالب سابقة

لا يكرر إيقاعاته

يعتمد إيقاعات مصدرها النفس والوجدان

ليس له وظيفة شارحة

يتسم بالإيجاز والتكثيف

تعريف قصيدة النثر:

نشأة قصيدة النثر:

كان النزوع نحو التحرر من البوادر الأولى لظهور قصيدة النثر، التي جاءت لتطيح بمظاهر الجمود التي لاكتها العادة، ينضاف إلى ذلك القصيدة المترجمة التي أصبحت حافزا حدا بالكثيرين إلى إبداع قصائد تمثل أصلا بذاتها، وبالتالي فقصيدة النثر في المرحلة الأولى لم تتعد كونها المنجز الجزئي المتحقق من قصد أو دونه من نتاج غوته وإدغارد آلان بو وهاينه

وقد تعهدت حركة التأثير والتأثر برعاية قصيدة النثر لتسلمها إلى مواكب كبرى، لاسيما على يد الشعراء الرمزيين من أمثال شارل بودلار في مجموعته قصيدة نثرية قصيرة، ورامبو الذي إبتدأ قصيدة النثر بعد وفاة بودلار بثلاث سنوات وهو يؤكد أنه مفتون بقصائد هذا الأخير النثرية، ثم ملارامیه الذي جعل من قصيدة النثر حلقة وصل بين القارئ والشاعر حتى قال: إن معنى أبياتي هو ذلك الذي يعطيه لها القارئ، وهذا ما يؤكد أن قصيدة النثر فرنسية النشأة بامتياز.

أما في العالم العربي فقد استطاع كل من أدونيس ويوسف الخال وخليل حاوي، ونذير عظمة إنشاء مجلة شعر تعنى بقصيدة النثر وتتعهد برعياتها والتبشير بها سنة 1957، و التي انضم إليها نقاد من مثل خالدة سعيد وأسعد رزوق و انسي الحاج وشعراء أمثال فؤاد رفقة ومحمد الماغوط منير بشور وأبي شقرا وآخرون،

وربما كانت هذه المجلة تقتدي بنظيرتها مجلة شعر التي ظهرت في أمريكا بزعامة " إزرا باوند" عام 1912 العاملة على بعث التجديد في الشعر الأمريكي

ولعل أولى الطروحات الجادة في العالم العربي حول قصيدة النثر تلك التي أوضحها أدونيس في مقالته الموسومة بـ في قصيدة النثر والمنشورة في صفحات مجلة شعر شتاء عام 1960 وبعد ذلك جاء أنسي الحاج بوجهة نظر عن المسألة في مقدمة لديوانه" لن" الصادر عام 1960 وأعيد طبعه عام 1982 ثم توالت الكتابات وقد تميزت كتابة يوسف حامد جابر الصادرة عام 1991 تحت عنوان قضايا قصيدة النثر وكتاب إشكالية قصيدة النثر لعز الدين المناصرة

ولأمر ما لم يتحمس أدباء مصر لهذا النمط على نطاق الإبداع أما على نطاق التنظير فقد كتب غالي شكري كتابه شعرنا الحديث ...إلى أين، أما في العراق فقد هيأت دعوة كل من الزهاوي للشعر المرسل والرصافي للشعر المهموس وحسين مران للنثر المركز المناخ لتقبل نمط القصيدة النثرية، هذا قد شكل ظهور مجلة شعر الكلمة عام 1968 منبرا لدعوة الشعراء نحو الكتابة وفقا لهذا النمط ومن أبرز الدعاة: موسى النقدي وسركون بولص وصلاح فائق وسلامة كاظم، وعلى الرغم من هذا الاحتفاء إلى أن تطور قصيدة النثر كان في لبنان أكثر منه في العراق.

المؤثرات العامة:

تأثيرات الصوفية:

كان للمتصوفة التأثير الأكبر على شعراء هذه القصيدة، ذلك أن كثيرا مما عبر عنه المتصوفة من سخط على المجتمع ومعارضة دينية وسياسية في أسلوب قائم على الوجد والمكابدة استطاعوا الموائمة به بين ذواتهم والمثل التي يطمحون إليها يشترك مع قصيدة النثر كونه مكثفا في تراكيبه رموز موحية وما يثبت ذلك أن أدونيس يضمن شعره الكثير من إشارات المتصوفة، ويعتمد الرمز الذي يعد البؤرة الرؤياوية لأن الرؤيا تنمو باضطراد داخل الإنسان، لكونها اتحاد بالغيب وخلق صورة جديدة للعالم أو خلق للعالم من جديد، وهي تغيير في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها، ينضاف إلى ذلك تبنيه فعل الرفض القائم على الثورة التي تعد فعل تخط وانفتاح نحو الإيجابية، وهو مما نقل لنا حيوية اللغة في شعره بشكلها الأرقى.

تأثيرات الأجنبية :

لا يمكن إغفال حركة التأثير كما أسلفنا الذكر فقد تمت ترجمة الكثير من القصائد الأجنبية لشعراء كثر من أمثال ييتس ووليم بليك وبيارإمانويل ووكلود فيجيه وبيار جاف جف وجاك بريفير وغيرهم.

موقف النقاد من قصيدة النثر:

انقسم النقاد والباحثون في موقفهم تجاه قصيدة النثر إلى موقفين:

الموقف الأول:

يرى أنه من مبرر للجمع بين نوعين متقابلين ويمثل هذا الموقف عبد الرحمن محد القعود الذي يشير إلى تغير التسمية بالقصيدة الحرة لكون تسمية قصيدة النثر تجمع بين متناقضين

ويرى غالي شكري أن التسمية خاطئة لكونها آخر رواسب الحس الكلاسيكي في حركة التجديد الحديثة على منطقة يحاصر فيها الفنان بمجموعة من القواعد الثابتة، وبالتالي فتسمية قصيدة النثر مسيئة للناقد الحديث، الذي كف عن مطالبة الشاعر بمقاسات معينة، ولذلك يقترح تسمية التجاوز والتخطي.

وفي مسار الرفض يقترح عبد العزيز المقالح تسمية القصيدة الأجد.

ويذهب عبد الكريم الناعم مذهبا قريبا، وهو الاقرار بوجود تناقض في التسمية، غير أنه لا يقترح تسمية موازية بل يسلم بالتسمية كما هي لشيوعها.

الموقف الثاني:

يرى بجواز الجمع بين النثر والشعر، حيث يرى صلاح فضل أن التسمية تعود إلى فعل الترجمة عن فرنسية وهي تحقق صدمة شعرية خفية.

ويرى محمد عبد المطلب أن قصيدة النثر تجمع حسب جذرها اللغوي قصد بين الوعي والقصد والتعمد فقصيدة النثر بناء مقصود في ذاته وهذه القصدية هي التي تفصل بينها وبين الشعر المنثور أو النثر الشعري، أما الفكرة الثانية فهي الاقتصاد أي قصيدة النثر تقوم على التركيز والتكثيف، ويوافق صلاح فضل محمد عبد المطلب رأيه هذا حيث تناقض في الجمع بين القصيدة والنثر باعتبار أن الجذر اللغوي قصد لا يتضمن إشارة إلى الأوزان العروضية

أشكال قصيدة النثر:

يشير أنسي الحاج إلى أن قصيدة النثر ليست شك واحدا فهناك ثلاثة أشكال

1 قصيدة النثر الغنائية التي تعتمد على النثر الموقع

2 قصيدة النثر التي تشبه الحكاية

3 قصيدة النثر العادية وهي بلا إيقاع كالذي نسمعه في نشيد الانشاد بل هي كيان واحد لا شقوق بين أضلاعه وهي الرؤيا وعمق التجربة لا تأثير لها إلا بعد اكتمال القصيدة .

<u>وعموما يمكن الوقوف على بعض المعايير الممكن توافرها في قصيدة النثر:</u>

الشعور بوجود مسافة توتر حسب كمال أبو ديب من خلال تطبيقاته على نصص شعرية حديثة لأدونيس إذ يرى أن الشعرية لا تحدد على أساس الظاهرة المفردة (الوزن الانفعال الموقف الفكري العقائدي...) بل حين تندرج ضمن شبكة من العلاقات المتشكلة في بنية كلية .

الشعور بوجود صورة مرتكزة على الذهنية والمرجعية الخيالية إضافة إلى معطيات الواقع سواء كانت هذه الذهنية متمثلة في أبعاد صوفية أم سريالية أم أسطورية مع الأخذ بالأبعاد الاستعارية الضرورية لإقامة شعرية النص .

الشعور بارتكاز النص على جملة مبنية بناء اختزاليا.